الأخـــــوّة في الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ..وبعد

أيها المسلمون:إن الأمة الإسلامية لا يلتئم شملها، ولا يستقيم حالها إلا إذا نظر كل واحد إلى نفسه أنه مسؤول مسؤولية مباشرة عن سعادة الجميع، ولن يتأتى ذلك حقاً إلا إذا نبذ الأنانية وانتزعها من قلبه وشعر بحواسه أنه المعني بقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا)) إن الأخوّة جعلها الله شعار المسلمين، ﴿**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون**﴾بهذا الأسلوب القوي وهو أسلوب الحصر، وكأن المستفاد من الآية أنه لا يمكن أن يكون المسلم سوى أخٍ للمسلم، هذا الشعار وضحه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: ((من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرَّج عن مسلم كربة فرَّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)) ونعمة من الله على عباده الصالحين قال تعالى ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾ نعمة حبل الله على أساس الإيمان. الأخوة علامة للإيمان:روى الشيخان عن أنس قال قال ﷺ((ثلاث من كن فيه وجد بهن)) فذكر منها: ((أن يحب المرء لا يحبه إلا لله)). روى مسلم عن أبي هريرة: ((والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا)). الحب مستوجب لحب الله تعالى.روى مسلم عن أبي هريرة قال قال ﷺ ((أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك من نعمة تربها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل، فقال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه)).

وروى الطبراني وابن حبان والحاكم عن معاذ سمعت رسول الله ﷺيقول تعالى: ((وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتجالسين فيّ والمتزاورين فيّ والمتباذلين فيّ)). الإخوّة في ظل الرحمن.عن أبي هريرة يقول الله: ((أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي)).

وعن أبي هريرة: ((سبعة يظلهم الله في ظله)). فذكر منهم: ((رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه)). حرمت كثير من المحرمات حفاظاً على الأخوّة: عن أنس قال رسول الله ﷺ: ((لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث))، وفي الحديث المتفق عليه عن ابن عمر مرفوعاً: ((إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث)).

أيها المسلمون: ليست الأخوّة شعاراً يرفع، بل هي سلوك ينتظم الحياة، ألخِّصه في أن المسلم يسعى جاداً إلى إفادة غيره، تصوروا – ونحن في موسم الهجرة – ذلك الاستقبال الرائع المثالي الذي أولاه الأنصار – رضي الله عنهم – للمهاجرين، حين خلع كل أنصاري رداء الأنانية عن نفسه، وألقاه جانبا، وضرب مثلا في السمو والرفعة لم يعرف له التاريخ مثلا في القديم ولا في الحديث ولن يعرفه حتى يرث الله الأرض ومن عليها تنازل الأنصاري عن جزء من ماله وما يملك لأخيه المهاجر، بل رضي أن يطلق زوجته – إن كانت له أخرى – ليتزوجها المهاجر بدينه بعد انقضاء عدتها، إنها أخوة الروح قبل أن تكون أخوة الجسد ولذلك عدّها الله نعمة من جلائل النعم.

أيها الأخ المسلم: إنه لابد لك في هذه الحياة من أخ تبثــّه شكواك، ويعينك على بلواك، فأختره أخاً لك من أهل الدين والعلم والصدق والمروءة من مثل الذين عناهم الشاعر الحكيم بقوله :

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب الزمان صدعك تشتت فيه شمله ليجمعك

فإذا ظفرت بمثل هذا الأخ فحافظ عليه حفاظك على الثمين العزيز، واحذر أن يفلت منك فقديما قيل: أعجز الناس من فرط في طلب الإخوان الأوفياء الأخلاء، وأعجز منه من ضيع من ظفر بهم، والرجل بلا صديق كاليمين بلا شمال، لله در الناصح.

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة ولكن إخوان الصلاح الذخائر

وإذا تطلعت نفسك – أيها المسلم – إلى مثل أعلى للصديق فتصور قول أحد علماء الإسلام لأصحابه: أيدخل أحدكم يده في كمّ صاحبه فيأخذ حاجته؟ قالوا: لا. قال: فلستم إذن بإخوان.

أيها المسلمون: ليس من الأخوة في شيء أن يبيت أقوام يتنعمون بأطايب الطعام والشراب ووثير الفراش، يتقلب في أنواع النعم، ولا يتألم لإخوان له في الدين والوطن أقعدتهم الحاجة أو لزمهم الحروب والدفع عن بيضة الإسلام والمسلمين ، أفلا يذكر هؤلاء المترفون قول النبي ﷺ للذين آمنوا به: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))، فلا يحسن بنا أيها الإخوة المسلمون أن نقوم بواجب الجسد فقط، فذلك حظ الأنعام وحظ الذين كفروا بالله: ﴿**والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم**﴾.

فيا أيها المسلمون:إن الأخوّة التي نحرص على توثيقها ينبغي أن تفجر في النفوس معاني الرحمة وينابيع الحب والتوادد، وإلا فهي مجرد كلام يقال وتذروه الرياح لا يؤثر في واقع ولا ينهض بأمة، ومن أجل هذه الأخوة العملية كان سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يقف في السوق فمن رآه يشتري اللحم يومين متواليين ضربه بدرته وقال في غضب: هلاّ طويت بطنك لجارك وابن عمك.

شروط الأخوّة:

أولا : في الله. روى الطبراني وأحمد عن ابن مسعود وأبي البراء مرفوعاً: ((أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله والموالاة في الله والمعاداة في الله)).

ثانيا : النصيحة: روى مسلم عن أبي رقية قال قال ﷺ: ((الدين النصيحة قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين عامتهم)). روى الشيخان عن جرير قال ((بايعت رسول الله على اقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم)). روى الشيخان عن أنس مرفوعاً: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)).

أدب الأخوّة:

أ- المواساة والإيثار: ﴿**والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**﴾. ﴿**ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً**﴾. روى مسلم عن أبي سعيد: ((من كان معه فضل ظهر فليعد على من لا ظهر له)).

ب- لا تهجره فوق ثلاث:روى مسلم عن ابن عمر: قال قال ﷺ((لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث)).

ج- ابتعد عن المدح:روى البخاري عن أبي موسى أنه سمع النبي ﷺرجلا يثني على آخر فقال ﷺ: ((أهلكتم وقطعتم ظهر الرجل)).

د- تستمع إلى حديثه:يقول سفيان: إن الرجل ليحدثني بالحديث أعرفه قبل أن يولد فاستمع إليه.

و- الدعاء بظهر الغيب للإخوة. ((دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب لا يرد)).دعاء المرء المسلم مستجاب لأخيه بظهر الغيب عند رأسه ملك مؤكل به كلما دعا لأخيه بخير قال الملك آمين ولك بمثل ذلك.

ح- الأخوة الصادقة لا تزيد بالصلة ولا تنقطع بالبعد:قال يحيى بن معاذ: حقيقة المحبة أنها لا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفاء. وعن اسحاق قال: كان بين عبد الرحمن بن مهدي ويحي القطان مودة وإخاة فكانت تمر السنة لا يتلقيان، فقيل لإحداهما فقال: إذا تقاربت القلوب لم يضـــر تبـــاعد الأجسام.

ط- إحتمال الأذى:أبو الدرداء قال: إذا تغير أخوك وحال عما كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك، فإن أخاك يعوج مرة ويستقيم أخرى.

اللهم إنَّا نسألك رحمة عامة وأخوّة صادقة تدفعها القلوب قبل الأجسام، اللهم اهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت وتولنا فيمن توليت وبارك لنا فيما أعطيت وقنا شر ما قضيت، وصلي اللهم وسلم على أفضل خلقك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.